

اعداد : صلاح خليفة
خير اذاعي - دولة قطر

ندوة التربية

الوحدة الاسلامية في التاريخ الاسلامي الاسلام المعاصر والحضارة العربية اللغة العربية.. هل تواجه مشكلة ؟

عودت « التربية » القراء الكرام في اعداد
السابقة على استضافة بعض المفكرين والعلماء في
مختلف التخصصات العلمية والادبية .

وفي هذا العدد تستضيف « التربية » على
صفحاتها ثلاثة من المفكرين في اللغة العربية
والتاريخ الاسلامي لتناقش معهم بعض القضايا
التي كثيرا ما تثار حول المشاكل التي تتعرض لها
اللغة العربية ، واثار الحضارة الاسلامية في تفسير
واقع العالم في فترة من ازهى الفترات التي رآها
البشرية . كما تدور المناقشة حول ضرورة وحدة
المسلمين تحت راية الاسلام حتى يعود اليهم مجدهم
وعزتهم .



الوحدة الاسلامية فى التاريخ الاسلامى

من واقع التاريخ الاسلامى نعرف كيف ان المسلمين عندما كانوا متبعين سادوا العالم فى فترات مختلفة وكانت هذه الفترات من ازهى العصور فى التاريخ الاسلامى ،وقضية الاتحاد وعلاقة الاتحاد بالقوة شيء لايرقى اليه الشك وواقع التاريخ الاسلامى يزخر بأمثلة كثيرة تدل على هذا الامر ذلك ان الاسلام فى وجه من وجوهه هو دعوة للاتحاد وتنفيذ للاتحاد فقد وحد تلك القبائل المتفرقة فجعل منها دولة قوية موحدة هذه الدولة فى ظل وحدتها فى ظل قيادة رسولها الكريم لها استطاعت ان تضع اسس تنظيم واسس نشر الدعوة ، واستطاع العرب فى ظل الوحدة ان يقوموا بالفتوحات التى اضافت للدولة العربية الاسلامية مناطق شاسعة ربما تكون اوسع من المناطق التى كانت لهم فى السابق كما انها مهدت السبيل لنشر الدعوة الاسلامية وانتشار الاسلام فى العقول والقلوب والنفوس وهكذا وجدنا ان الوحدة كانت قوة ، فى سبيل كل شيء .. فى سبيل اقامة الدولة الواسعة المنظمة فى سبيل نشر الاسلام .. وبعد ذلك فى سبيل اقامة الحضارة الزاهرة نظرا لان العرب المسلمين فى ظل هذه الدولة الواحدة الزاهرة دانت لهم المناطق التى كانت مزدهره حضاريا فى الماضى واهست المجال للتفاعل بين العناصر الحضارية المتعددة مما اثر فى قيام الحضارة العربية الاسلامية التى برزت فيها قمم فكرية لاتزال افكارها ومنجزاتها اساسا حتى عصرنا الحديث فى مجال تقدم الحضارة وتقدم العلم .

وقد كان للتربية هذا اللقاء مع الدكتور احمد بدر استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة دمشق (وقتئذ) ليلقى الضوء على هذا الجانب الهام :

● يقول البعض ممن لهم اهواء خاصة ان الاسلام قام بعد السيف وان نجاح حرب الردة قامت على اساس السيف ، ماتفسير التاريخ فى هذه المرحلة لهذا الامر ؟

★ فى الواقع ان هذا مجافاة للحقيقة ، والسبب فى ذلك ان المرتدين قد تكتوا بعد ايمان وقضية ردتهم لم تكن فقط ذات وجه دينى . وانما كانت تنفيذا فى بعض الوجوه لمآرب اخرى اجنيه ، فالمعروف ان بعض المرتدين كانوا على صلة بالفرس ، وان بعض المرتدين الاخرين كانوا على صلة بالبيزنطيين ، وهؤلاء البيزنطيون ، والفرس كانت لهم مطامعهم فى الجزيرة العربية وهذه المطامع تجلت فى السيطرة على اليمن وفى محاولة السيطرة على مكة .. اما قضية انتشار الاسلام بعد السيف فهذا مناقض للدعوة الاسلامية تماما لان الاسلام لايدعو الى استخدام القوة وانما الى استخدام الاقتناع هذا شيء ، الشيء الاخر نلاحظ ان المسلمين لو كانوا يريدون نشر الاسلام بعد السيف لكانوا خيروا سكان البلاد المفتوحة او البلاد التى يهاجمونها بين الاسلام او الموت ولكنهم خيروهم بين الاسلام والعجزية ثم ان الاسلام كان مضطرا

لاستخدام السيف لان هذه القوى العظمى الطامعه فى الجزيرة العربية لم تكن لتقف مكتوفة الايدي امام انتشار الاسلام .. ولذلك كان الاسلام مضطرا لدفع الخطر .. الشيء الثانى ان الاسلام كدعوة عالمية والرسول الكريم ارسل لكافة الناس بشيرا ونذيرا ، ولذلك كان عليه ان يسعى وكان على خلفائه الراشدين ان يسعوا الى تأمين الدعوة لذلك نجد ان الرسول الكريم يرسل الرسل ويرسل الرسائل الى ملوك ذلك الزمان يدعوه الى الاسلام وقد رد هؤلاء باشكال مختلفة عبارة عن رفض لهذه الدعوة . لذا كان على المسلمين ان يسعوا الى حرية انتشار الدعوة فقط وهكذا نلاحظ انه لم تكن هناك محاولة لنشر الاسلام بالسيف بتاتا .

● هناك منجزات كثيرة تمت فى ظل دولة اسلامية واحدة ولكن المعروف ان السلطة لهذه الدولة لم تكن موجودة ابتداء من القرن الثالث الهجرى ومع ذلك فقد حقق المسلمون العديد من المنجزات فى هذه الفترة فكيف تم للمسلمين ذلك ؟

★ فى الواقع ان هناك مبالغة فى قضية التجزئة السياسية فالتجزئة حدثت فى السلطة فى ظروف وفى اوضاع وفى ازمة كانت المواصفات فيها صعبة جدا والدول العربية الاسلامية بلغت ابعادا واسعة يكفى على التدليل على ذلك مثلا ان السير من مصر الى اقصى المغرب كان يستغرق اكثر من ثلاثة شهور فى ظل هذه الظروف ، والشيء الذى حصل هو ان السلطة المركزية فقط تفككت لكن الوحدة الجوهرية بين المسلمين بقيت ، ذلك ان الوحدة التى قامت عليها وحدة المسلمين هي وحدة عقيدة وهذه العقيدة بقيت تعم كل القلوب وتسيطر على كل النفوس ، وهذه الوحدة ظلت تنحصر وظلت تظهر فى اعتبار المسلمين ان ديار الاسلام واحدة وان رمز وحدة ديار الاسلام هو وجود خليفة واحد . اذن الوحدة من ناحية العقيدة بقيت وهناك وحدة اللسان فلهذا القرآن سادت على الالسنه جميعا .. وهناك ايضا وحدة الثقافة التى تنعكس فى انتقال العلماء والمفكرين من بلد الى آخر دون جوازات سفر ولا حواجز ولذلك نجد موسيقيا ينبغ فى بغداد ويجد ترحابا له فى بلاد الامويين فى الاندلس ونجد لغويا او شاعرا يبرز فى مكان وينتقل الى مكان آخر ويجد نفس الترحيب ان لم يزد عن الترحيب الذى يلقيه فى بلده .. اذن الوحدة الجوهرية بقيت واذا تفككت السلطة المركزية فان المسلمين عوضوا .

● ماذا عن جيران العرب فى هذه الفترة هل كان لتفكك جيران العرب سواء فى الشرق أو فى الغرب أثر للمنجزات التى حققها المسلمون فى هذا العصر ؟

★ فى الواقع ان العرب المسلمين لم يبنوا دولتهم ولم يزدهروا على حساب يؤس الاخرين بل فى الواقع مجرد انشاء هذه الدولة الاسلامية بالذات افاد ، وقسم فوائد للانسانية جمعاء واضرب مثلا لذلك بالقضية التالية وهى ان البلاد التى تكونت عليها الدولة العربية الاسلامية وازدهرت فوق ارضها الحضارة العربية الاسلامية هذه البلاد كانت مجزئة مفككة مما جعل انتقال التجارات وانتقال المنجزات الحضارية



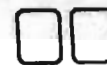
يصعب ويصبح عسيرا في احيان ويصبح مستحيلا في احيان اخرى نظرا للتنافس والتضارب بين هذه الدول ، اما بعد ان وحد المسلمون هذه المنطقة كلها في ظل راية الاسلام واصبحت الدولة واحدة اصبح بإمكان التجارات ان تمر وبإمكان المنجزات ان تنتقل من مكان لآخر .. وهذا مايفسر لنا كيف ان منتجات الشرق الاقصى مثل الارز ودودة القز للحريز ظلت طيلة العصور القديمة قبل الاسلام وقبل انشاء الدول العربية الاسلامية الواحدة معجوزه في الشرق ولم تنتقل الى مكان آخر من العالم *

ويفضل اليسر والامن الذي نشرته الدولة العربية الاسلامية امكن لهذه المنجزات ان تنتقل وهلا نرى الان هذه الزراعة على سبيل المثال تكون اساسا للزراعات في اوروبا نقلها العرب الى اسبانيا ومن اسبانيا انتقلت الى العالم اجمع .. اصف الى ذلك ان البلاد المجاورة للعرب المسلمين اصبح امامها طرق تجارية واسعة ومراكز حضارية كبيرة مستهلكه فاصبح بإمكانها ان تقوم منتجاتها او ان تنتج كثيرا وان تجد امامها سوقا كبيرا للتصدير *

● هل كانت الدولة الاسلامية في وحدتها واتحادها أم انها ضعفت في فترة الحروب الصليبية ووجدت الحملة الصليبية مجالا للدخول الى هذه المنطقة ؟

★ في الواقع اصطلاح الحروب الصليبية عبارة عن ترجمة حرفية لاصطلاح اوروبي ذلك ان الاوروبيين يبحثون كل شيء من زاوية خاصة بهم ومن اوضاع خاصة بهم لكن نحن لو نظرنا الى هذه الهجمة من زاويتنا نجد انها عبارة عن غزو قام به الاوروبيون لبلاد الاسلام موجه في ثلاث شعب فعلى سبيل المثال : سقطت طليطلة في اقصى المحور الغربي في الاندلس سنة ٤٧٩ وبعد ست سنوات سقطت صقلية وبعث ست سنوات اخرى سقطت انطاكيه .. اي ان الحروب الصليبية كانت موجهة لكل ديار الاسلام* فالحروب الصليبية لم تنجح ولم تكن لتقوم لو ان المسلمين انذاك سلكوا سلوكا ينسجم مع الاسلام في صفاته الاول .. الاسلام كما كان في صدر الاسلام وفي عهد الرسول والخلفاء الراشدين دون سباقات سياسية ، انشقاقات مذهبية وهذا مما اضعف من قواهم وسهل للصليبيين تحقيق الانتصار ، لكن عندما قامت الدعوة التي تقول انه لايمكن للمسلمين من الانتصار على اعدائهم الا بازالة الاسباب التي ادت الى انشقاق المسلمين والدعوة الى الشمل على المستوى السياسي واستطاعت الحكومات التي تبنت هذه النظرة وعملت باخلاص لتحقيقها مثلا في ايام الايوبيين استطاعت هذه الفئة ان تحرر ما احتل وان تستعيد ما احتل وهذه المعارك مشهورة مثلا .. موقعة حطين .. وتحرير بيت المقدس وبعد ذلك طرد الصليبيين نهائيا من ارض المشرق العربي الاسلامي *

ونخلص من هذا ان المسلمين يكونون اقوى مايكونون عندما تكون كلمتهم واحدة وصفهم واحد * وهذا يؤكد ان عز المسلمين ومجدهم يكمن في وحدتهم تحت راية الاسلام *



مع الدكتور جواد علي - استاذ بقسم التاريخ كلية الاداب - جامعة بغداد (وقتند)

الاسلام والحضارة العربية

جاء الاسلام بكل تعاليمه السمعة ليخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله الواحد القهار ، وكان هذه وحده عطاء بلا حلود ، وكان فضل الاسلام كبيرا على كل من عقل هذه الدعوة فكانت التفسيرات التي صاحبت دخول الاسلام وتنتجت عنه تغييرات لا تحصى ولا تعد على العرب وغير العرب *

وتستضيف التربية على صفحتها هذا العدد الدكتور جواد علي الاستاذ بقسم التاريخ بكلية الاداب بجامعة بغداد - وقتند - ليلقي الضوء على حضارة العرب واحوالهم قبل الاسلام ، واثار الاسلام في صنع الحضارة العربية التي تعد اعظم الحضارات واشملها على مدار التاريخ *

● من اين اتت كلمة العرب .. وماذا تعني ؟

★ هذه الكلمة وردت في النصوص الاشورية باسم اريبو واوريى واريبو بمعنى يدو وكذلك وردت عند اليونان والسرمان واللاتينية وفي النصوص العربية الجنوبية التي نسميها نصوص المسند وهي ليست نصوص حمير بالذات او سبا يسمونهم اعريم اي اعراب او بداهو .. ثم تخصصت على قومية خاصة وذلك قبل الاسلام بقرنين او ثلاثة حين تغلب الاعراب ودخلوا الى جنوب اليمن فصار لهم اسم في النصوص ولذلك نجد دخول اسمهم في النصوص منذ زمن (شهرير عش) الملك الحميري المشهور حوالي القرن الثالث او الرابع للميلاد *

ويمكن هنا ان نقول ان العرب كانوا يسكنون في بوادي الجزيرة العربية حتى يادية السماوه او يادية الشام التي تفصل بين العراق وبلاد الشام وكانت مسكونة بالعرب قبل الميلاد بزمان طويل ، وكذلك نجد بعض الاماكن في العراق كانت مأهولة بالعرب قبل الاسلام وفي بلاد الشام كذلك ، حتى في فلسطين كان العرب يسكنون هناك منذ زمن طويل على عكس الرأي او الفكر الخاطيء الذي يقول ان العرب لم يدخلوا فلسطين الا مع الفتح الاسلامي .. حتى ان الاشوريين عندما حاصروا القنس نجد ان العرب ساعدوا ملك القنس حينئذ بعد ان استنجد بهم *

ونستطيع ان نقول ان العرب المدينين كانت لهم اسماؤهم الخاصة مثل سبا * وحمير وهنا يمكن ان يعد الكنعانيون وبعض الجماعات الاخرى من العرب ولكن لم يسموا صريا لانهم كانوا اهل حضر وكانوا مستقرين ولم يكونوا بدوا .. اذن هناك عرب مستقرة وعرب متنقلة او كما يقول اهل الاخبار هناك اهل مدن واهل وجر .. واهل المدن يسمون باسماء الاماكن التي استقروا فيها ، واهل الدير عموما اعراب وهي كلمة عامة *

● هل كان للعرب قبل الاسلام حضارتهم الخاصة ؟

★ لاشك في ذلك وهي حضارة زراعية وصناعية خصوصا في الاماكن التي تتوفر فيها مواد صنع الحضارة مثل اليمن او الحجاز لان فيها صغورا ومعادن .. فالاماكن التي توفرت فيها التربة التي تنتج الحضارة تولدت فيها هذه الحضارة ، وطبعا هذا الامر لا ينطبق على الصحراء لانه لا يوجد بها هذه المقومات الا الرمال والماء في بعض الاماكن وهنا يمكن ان نقول ان الصحراء يمكن ان تنتج حضارة بدوية بمعنى صناعة يدوية تتناسب مع الصحراء .

● ماهي مصادر التاريخ لتلك الفترة ؟

اهم المصادر الاصلية هي الكتابات بالدرجة الاولى ثم ماكتب من مؤلفات ومراجع في ذلك العهد مثلا كتابات اليونان مثل سترابو .. بطليموس .. بلفيوس .. بروكوبيوس وغيرها .. وهذه من قرايتها يمكن ان نستنبط منها الكثير عن العرب في ذلك الوقت ، فهي تمثل حقبة تاريخية هامة .. مثلا سترابو يصف رحلة اوليوس جالوس الى اليمن عندما كان يريد احتلالها .. بل اكثر من ذلك كان يريد احتلال شبه جزيرة العرب لان القصر اغسطس ارسله اما ان ياخذ الذهب من العرب ولذلك طمع في ذهبهم ، والحقيقة ان العرب في ذلك الوقت كان لديهم (مادة البترول) ولكن البترول في ذلك الوقت لم يكن مستخرجا من باطن الارض .. وانما كان هو البخور والتوابل .. وهذه كانت لها قيمة كبيرة جدا في ذلك العصر لانه عندما يموت الشخص كان يستخدم هذا البخور في تعتيقه .. وبذلك كان البخور له قيمة البترول الان بالنسبة لليونان والرومان ولذلك طمع اغسطس في احتلال تلك البلاد ولكن فاش فشله ورجع خائبا .

وقد اشار السريان ايضا في بعض كتاباتهم الى العرب ثم بعض الكتابات العربية الجنوبية وبعض الاماكن الاخرى في الحجاز والبحرين والكويت وجد فيها بعض الكتابات التي تقيد في تدوين تاريخ العرب وتعتبر كمصادر .

● هل اثر البحر في اهل الجزيرة العربية ؟

★ نعم .. فاهل السواحل كان لهم اتصال مع الهند ومع الياور ومع افريقيا والدليل على ذلك ان العرب كما قلنا كونوا مملكة اكسوم فمعنى ذلك انهم عبروا البحر الاحمر ولكن اهل البادية كانوا يخالون ركوب البحر وهذا شيء طبيعي ولذلك من الخطا ان نعم ونقول ان العرب كانوا يهايون البحر .. فالعرب كانوا يتاجرون وتجارته منتشرة في كل مكان وهذا لا يتأتى الا بالرحلات سواء البرية او البحرية .

● هل غير الاسلام في الجزيرة العربية؟ وما هذا التغيير ؟

★ الاسلام غير كل شيء ينافي مبادئ الاسلام .. التي اساسها فكرة التوحيد والحضارة الاسلامية التي قامت في بلاد العرب والبلاد التي دخلها الاسلام هي حضارة تقوم على

مبادئ اسلامية وما توافق معها في هذه البلاد تركها الاسلام وللإسلام فضل عظيم ، فقد وجد لهجات العرب وبهذا التوحيد استطاع توحيد العقليّة العربيّة لان اللغة دخلت كثيرا في تفكير الناس .. وقد جاء الاسلام ايضا بمبادئ اجمع عليها المسلمون فوجد بينهم .. ثم وجد بين العرب والشعوب غير العربيّة التي دخلت الاسلام فصاروا يشعرون انهم اخوة ، والغريب ان الاسلام الذي ظهر في مكان بعيد في وسط البادية هو الذي دعا الى الاخوة العالمية وهذا امر غريب وفي نفس الوقت من معجزات الاسلام في الحقيقة .. وهذه الدعوة قائمة حتى الان ونحن في القرن العشرين ومع ظهور كثير من الدعوات لم تتحقق كما حققها الاسلام .

والاسلام كما نعرف ليس دينا محليا بل هو دين عالمي ولذلك فقد ارسل الرسول اسامه بن زيد ليقوم بحملته الى خارج مكة وكانت هذه هي بداية الفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام الى الخارج وكانت الدعوة على اساس ان من يوافق على الدخول في الاسلام صارت له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات .

● ماذا عن قول المتعصبين بان الاسلام لم ينتشر خارج الجزيرة العربية الا بعد السيف ؟

- هذا قول قديم واول من قال به (يوحنا النمشقي) كان يعمل في بلاط الامويين اذ ان والده كان مدير مالية او صاحب خزنة معاوية بن ابي سفيان ويوحنا هذا كان له منزله في الكنيسة وقد هاب من كثرة من دخل الى الاسلام من اهل الشام فوضع لهم كتاب مياهر وهو مجموعة اسئلة واجوبة حتى يصون فيها المسيحي من الدخول الى الاسلام او كما تقول في العصر الحاضر لايتاثروا بالحماية الاسلامية .. فهو اراد ان يعصنهم فقال ان الاسلام دخل بعد السيف ومعناه القتال .. ولكن الاسلام على عكس ذلك لم ينتشر بعد السيف لانه حتى اليوم هناك قبائل في ايريقيا تدخل الاسلام بدون سيف او منفع وانما بالافتناع بمبادئ هذا الدين .

● عندما خرج العرب الى خارج جزيرتهم .. ماذا اعطوا وماذا اخذوا ؟

★ اول شيء يمكن ان نذكره هنا هو انهم اعطوا لغتهم العربيّة للبلاد التي دخلوها وهي لغة القرآن وصارت هذه اللغة تعتبر لغة المسلمين .. واليوم نجد علماء الدين الاسلامي في كل مكان يهتمون باللغة العربيّة اهتمامهم بلغتهم الخاصة باعتبارها لغة القرآن .. وهذه اللغة وحلت وخلقت مئات من العلماء الذين كتبوا باللغة العربيّة واوجدت حضارة عربيّة اسلامية انسانية وهذه واحدة من جملة الثمرات التي اعطاها المسلمون للعالم .

من الناحية الاخرى .. فان كل انسان يتاثر .. ياخذ ويعطي .. حتى اذا فكرنا في علم الانسان فانه ياتي منا جميعا فالانسان عنده قابلية للتعلم بواسطة حواسه الخمس فالانسان يؤثر في الاخرين والاخرون يؤثرون فيه فالاسلام اخذ كما اعطى .. وكل الحضارات البشرية نتيجة اخذ وعطاء .

اللغة العربية .. هل تواجه مشكلة ؟

مع الاستاذ هشام أبو قمر

الاستاذ المحاضر في اللغة العربية - الجامعة التونسية
(وقتئذ)

● اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، وهي اشمل واكمل لغة علمها الله للانسان ، وقد تشرق المسلمين والعرب بهذه اللغة التي كانت سبيلا لتعارفهم وتعاونهم .

وقد عانت اللغة العربية في فترات متفاوتة من التاريخ من بعض الاهمال لها لاسباب عديدة .. ولا ننكر ان اهل هذه اللغة كانوا احد الاسباب .

ولاشك ان المستعمر يطول بقائه في بعض البلاد العربية حاول جاهدا ان يلقي الاسلام في هذه البلاد من خلال الغاء اللغة العربية ولهذا كان المستعمر يجبر البلاد التي احتلها على قبول ثقافته ولغته الاجنبية مع محاولة اثبات ان اللغة العربية لغة غير كاملة وان اللغات الاجنبية هي اللغات العالمية ، وغيرها من الافكار العاقدة التي ترمى الى اهداف بعيدة المدى تنتهي الى الغاء لغتنا العربية وما يستتبعه من الغاء لدينتنا الذي هو سر سعادتنا ، وقد كان للتربية هذا اللقاء مع الاستاذ هشام أبو قمر الاستاذ المحاضر في اللغة العربية بالجامعة التونسية (وقتئذ) ليلقي الضوء على هذا الموضوع الهام :

● هل هناك خلاف في طريقة تدريس اللغة العربية بين الجامعات في المشرق وبينها في المغرب العربي ؟

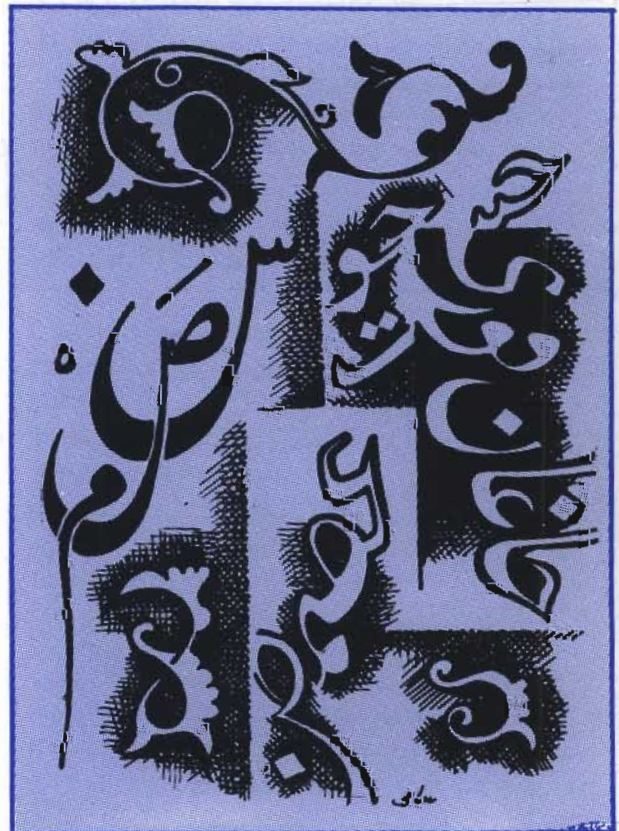
★ لا يوجد اختلاف كبير في طريقة التدريس ، ولكن الاختلاف ربما وجد في بعض الوسائل المطبقة هنا وهناك وربما كان هذا بسبب اختلاف المناهج واختلاف مصادر التخصص عند القائمين بالتدريس .. ففى تونس مثلا اكثر الاساتذة تخرجوا من الجامعات الفرنسية حتى الذين درسوا في المشرق العربي بعض الوقت تجلبهم يكمّلون دراساتهم العليا في فرنسا ، فالمدرسة الفرنسية هي التي تغلب عندنا .. بينما في المشرق نجد ان المدرسة الانجليزية هي السائدة .. وهنا اذكر ان من خصائص المدرسة الفرنسية انها تتميز بالمنهجية ، اي ان الفرنسيين يوثقون اكثر مما توثق المدارس الاخرى وهناك ايضا ميل للجزئيات في طريقة الانتقال من هذه الجزئيات الى الخلاصات الاخيرة للبحث ، كما ان المدرسة الفرنسية تمتاز ايضا من ايام ديكاوت - بالطريقة الخاصة في سرد البحث ثم انها تختلف في دراسة الاصوات عن المدارس الاخرى وخاصة الانجليزية او الالمانية ، فنحن في المغارب الصوتية تختلف الدراسات عندنا بسبب الوسائل والاليات المستخدمة وهي فرنسية .. هذا بشكل عام .. وعنما ذكرت اننا في المغرب متأثرون بالمدرسة الفرنسية اردت ان اشير الى المحتوى المنهجي .

اما تعليم اللغة العربية فهو يتم في تونس باللغة العربية طبعاً حتى لا يتبادر الى الذهن اننا ندرس اللغة العربية بلغة فرنسية كما يحدث في المدارس الفرنسية التي تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها .. وعلى أية حال لا اتصور ان الاستفادة في مجال اللغة بالذات يمكن ان يتعدى طرق التدريس .. وخاصة ان الغرب في الوقت الحاضر تقدم بغطى كبيرة في دراسة اللغات .. الطرق التحليلية المتبعة تقلمت وخرجت بالنحو عما كان معتاداً عندنا وعما كنا نتصوره من ابواب معروفة عند سيبويه او غيره .. فالدراسة الصوتية او النحوية او الصرفية مجموعة من وسائل واساليب البحث المستعده التي تستخدم الاليات اكثر مما تستخدم الفكر البحث والتي تؤدي احيانا الى نتائج ادق بكثير من النتائج التي يمكن ان تصل اليها بالطريقة التقليدية .. هذه هي حدود الاستفادة من المنهج الغربي او الطريقة الغربية .

● ماذا عن الجامعة التونسية ؟

★ سابقاً كنا نقوم بدور المستقبل للثقافة العربية التي تأتي من الشرق ونقوم بدور الموزع او دور الملقى ، وخاصة في الفترة التي طفت فيها النهضة والاحياء عن طريق مصر حتى فيما بعد عندما تكونت حركات فكرية عميقة وتمكنه وذات أصالة في بلاد المغرب .

صحيح ان بلاد المغرب مرت بظروف تختلف عن بلاد المشرق نتيجة للاستعمار وظل هذا الاستعمار في المغرب حتى وقت ليس بالبعيد .. ولكن هذه الفترة من الزمن التي مرت بعد خروج الاستعمار كانت كافية لان توجد في تونس مثلاً الركائز الاساسية لنهضة فكرية وثقافية متميزة في داخل



عربية كانهم يتصورون أن التونسيين قد تفرس لسانهم نهائيا وانسلخوا عن اللغة العربية .. هذا غير صحيح على الإطلاق *

ويمكن أن نقول أن ازدواجية اللسان موجودة عندنا أكثر مما هي موجودة في البلاد العربية الأخرى بمعنى أن ثقافتنا أساسا مبنية على الازدواجية وهذا اختيار حضارى سياسى واقتصادى تمليه مجموعة من الضرورات ، ولذلك نحن نبني ثقافتنا على الازدواجية على أساس أن اللغة العربية هي اللغة الأم .. لكن الطالب المتخرج يجب أن يحسن على الأقل لغة أجنبية بشكل كامل وأن يعرف مبادئ لغة أجنبية أخرى وبحكم وجود اللغة الفرنسية من قبل يجعلنا نختار اللغة الفرنسية كلغة أساسية على الأقل في الفترة الحالية ، ولا أستبعد فيما بعد أن تصبح اللغة الفرنسية في وقت ما قضية تراجع .. هل هي الصالحة أم لا .. على أساس أنه إذا كان المقصود هو أن نتعلم لغة أجنبية .. فأي اللغات الأجنبية أفضل لتحقيق الغاية التي نصبو إليها وهذا السؤال يطرح حاليا أيضا بين بعض الأوساط أكثر من مرة حتى في داخل الجامعة *

واريد أن أبين شيئا هاما .. يختص بالازدواجية التي تحدثت عنها وهي أن الازدواجية تعني تواجد لغة قومية الى جانب لغة أجنبية ، مثلا تواجد اللغة العربية الى جانب اللغة الفرنسية *

وهناك مشكلة تتعلق باللغة الفصحى وما ينتج عنها من لهجات فالتونسي أو القطري أو السعودي أو المصري يواجه مجموعة من مستويات الكلام فهو يتعلم في المدارس والجامعة مستوى اللغة المكتوبة ولكنه في الخارج يواجه مستوى اللغة المنطوقة .. والفرق أحيانا يبدو شاسعا بين المستويين لأن اللغة المنطوقة بما أنها تتعدد بطبيعة الموضوع ومستوى ثقافة المتكلم فكما توفرت هذه العناصر كلما اقرب الحديث من الكتابة أي من اللغة المكتوبة ، وكلما تضاعفت هذه العناصر كلما ابتعدت لغة الكلام كثيرا .. وهنا ملاحظة أن الناس العوام في خاراتهم وشوارعهم الذين لا يحسنون القراءة والكتابة ولا يعرفون شيئا من اللغة إلا ما وروثوه بالطبع نجد قاموسهم أو زانهم اللغوي قليل وهم يتكلمونه ويلفظونه بشكل معين .. وهذا هو الذي ينشأ عنه اختلاف اللهجات من مدينة الى أخرى في داخل البلد الواحد وأحيانا في داخل المدينة الواحدة من حي الى حي .. كل ما أتمناه - واعتقد أننا نسير نحوه على مستوى العالم العربي كله - أن الازدواج والتلفزيون ووسائل الاعلام الأخرى هي التي ستقوم بالدور الأكبر في تقريب الشقة ما بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لأنها هي التي يعايشها الإنسان طول اليوم *

ولهذا أرى أن اللغة العربية لاتواجه مشكلة ، فهناك من يضخم هذا الموضوع وإذا افترضنا أنها كذلك فاللغات الأخرى تواجه وواجهت نفس المشكلة .. كاللغة الفرنسية والانجليزية .. فمستوى ما هو منطوق يختلف دائما في كل اللغات عن مستوى ما هو مكتوب *

● هناك تخوف أو تصور من أن تتحول اللغة العربية الى عدة لهجات وتستقل كل واحدة بذاتها ويطلق عليها لغة ، هل يمكن أن يحدث هذا ؟

النهضة العربية الكبرى .. حيث وجدت ملامح ، ومن بين هذه الملامح الجامعة التونسية .. فالجامعة أصبحت عمرها الآن ١٩ سنة إذ أنشئت في عام ١٩٦٣ ولم تنشأ الجامعة كلها على دفعة واحدة وإنما على مراحل ، فقد أنشئت أولا الكليات التي كانت تونس تحتاج إليها أكثر من غيرها .. فبعد خروج الفرنسيين كنا بحاجة الى كوادرات ادارية ومتوسطة بالذات خاصة في التعليم وكان هناك الاتجاه الى التعريب الذي مازال سائدا حتى اليوم ، وهذا الاتجاه كان يتطلب إيجاد الاساتذة الذين يستطيعون أن يعلموا في المدارس الثانوية لذلك نجد أن الجهد الأول اتجه على عكس ما كان متصورا الى كلية الاداب ، وليس الى الكليات العملية نظرا الى أن الكليات النظرية تكلف في انشائها أقل بقليل من الكليات العملية فانشاء كلية للهندسة أو للطب مثلا يكلف اضعاف كلية للمعلمين لأن الأولى تتطلب تجهيزات ومعدات فنية باهظة التكاليف .. ولهذا بلدنا بكلية الحقوق وكلية الاداب وكلية الاقتصاد وذلك لأن الحاجة كانت ملحة أكثر الى تكوين هذا الاطار المتوسط من معامين واساتذة لغة واساتذة ادب .. ثم في المرحلة الثانية أنشئت الكليات التطبيقية ككلية الطب وكلية الهندسة وكلية الفلاحة .. الخ .. لكن ما بين هاتين المرحلتين ظل الاطار العالي يكون خارج تونس أي يكون في الجامعات الفرنسية ، ونستطيع أن نؤرخ لنهاية هذا الوضع عام ١٩٦٩ م فعلى ذلك العام كنا نرسل البعثات التخصصية الى فرنسا وبعد ذلك أصبح هناك ضغط كبير جدا نحو خروج الطلاب الى الجامعات الأجنبية في هذه الميادين نظرا لأن الجامعة التونسية أصبحت تستوعب تقريبا حوالي ٨٥ ٪ من الطلاب .. ولكننا في الوقت العالي نرسل بعض البعثات ولكن بعدد محدود في بعض التخصصات التي لاتزال غير موجودة عندنا وهذه البعثات تتجه نحو امريكا - فرنسا - ألمانيا *

● يقول البعض أن أغلب جامعاتنا العربية تخرج موظفين وليس باحثين .. هل وقعت الجامعة التونسية في هذا العيب على حد قولهم ؟

★ لا اعتقد أن هذا صحيح ، وعلى الأقل بالنسبة للجامعة التونسية ، ولكن هناك ظروف تاريخية جعلت من الضروري أن توجه العناية في مرحلة معينة الى تخريج هذه الكوادرات المتوسطة لأن الدولة كانت بحاجة ملحة جدا بعد خروج الفرنسيين من الادارات الحكومية المختلفة الى تعويض هذا النقص بكوادرات وطنية لذلك كان من الضروري أن توجه العناية في المرحلة الأولى نحو هذا الامر وليس لتخريج علماء وباحثين ، وبالتالي هي فترة مرحلية فقط أما الفترة التالية وهي عندما تكون الحاجات الضرورية للدولة قد اشبعت .. حينئذ يكون التوجه نحو البحث العلمي والتخصص الدقيق هذا هو مسار الجامعة التونسية وهو مسار جميع الجامعات في العالم الثالث لأنها تضطر أن تمر بهذه المرحلة *

● هل اللغة العربية تواجه مشكلة بين أبنائها والمتكلمين بها ؟

★ الملاحظ أن التونسي عندما يسافر الى المشرق العربي ويتكلم لغته نجد أن المشاركه يستغربون منه تحدثه بلغة

ندوة التربية

ثقافة المنشور ص ٢٧

★ لا اتصور ذلك لسبب بسيط .. اللغات الاجنبية التي انفصلت عن اللغة اللاتينية والتي كانت مجموعة من اللهجات واصبحت فيما بعد لغات مستقلة .. هذه اولا انفصلت في ظروف تاريخية معروفة .. هذه الظروف غير موجودة بالنسبة للغة العربية اليوم .. ثم ان اللغة العربية تمتاز عن هذه اللغات بانها عامل توحيد بينما اللغة اللاتينية لم تكن كذلك الا على مستوى الكنيسة فلما انقسمت الكنيسة الاوروبية انفصلت اللغة اللاتينية وخسرت كل مواقع نفوذها ، اما اللغة العربية فارتباطها بالاسلام والقرآن الكريم الذي لايتغير ولايمكن تغييره ، وهذا هو الذي حافظ عليها عبر التاريخ ، ولو لم يكن القرآن لاندثرت اللغة العربية منذ زمن بعيد او لظهرت مجموعة من اللهجات التي تتطور فيما بعد الى لغات ، وهناك عامل اساسي آخر لا يوجد لدى اللغات الاخرى وتتميز به اللغة العربية وهو انها قد التحمت بحركات التحرير في الوطن العربي بحركات التحرير جعلت من اللغة العربية سلاحا من اسلحتها فقد كانت كلها تنطلق من حركات تفكير ثقافية ، وفي الوقت نفسه كان من اهدافها اعادة اللغة الام على اساس انها عنوان الشخصية وجزء من الذاتية ، وهذا مما جعل اللغة العربية تصمد خلال فترة الاستعمار الطويلة التي عانى منها الوطن العربي .

وهنا فقد وطلت هذه الحركات وجود اللغة العربية بدلا من ان تضعفه كما حدث في بعض البلاد الاخرى ومنها بعض البلاد الافريقية التي لها لغات والتي ادى الاستعمار الى نبذ لهجاتها او لغاتها الاصلية والى اخذ اللغة الفرنسية او الانجليزية كلفة قومية وهو امر لم يحدث في الوطن العربي .

وهذا ايضا مايجعلني لا اعتقد بالفعل ان اللغة العربية تواجه بالفعل مشكلة كما يتصور البعض واعدود الى القول ان مشكلة تعدد اللهجات ليست من المشاكل العويصة

● اذن ماهو دور الجامعات العربية في هذا الصدد ؟

★ دورها اساسي بالطبع لان الجامعات هي التي تكون الاطارات وتبتكر المناهج والافكار وهي التي تقلم رؤوس وعقول الذين يتخرجون منها .. فالذين يتخرجون من الجامعة يفكرون بالطريقة التي تعلموها وسوف يخرجون بنفس العلم الذي قدم اليهم ، ولذلك فان الجامعات مطالبة بان تكون حريصة على تركيز المعرفة الحقيقية باللغة العربية واعطاء معلومات صحيحة وثابتة ومتطورة عن اللغة العربية وليست معلومات جامدة ، ويمكن لاتحاد الجامعات العربية ان يكون له دور ايجابي في هذا المضمار واعتقد ان من الادوار الاساسية التي يجب ان يقوم بها هذا الاتحاد هو التقريب بين مناهج البحث ومناهج التدريس في مختلف الكليات العربية لان هذا الاختلاف هو الذي ينشا عنه الاختلاف في التكوين فيما بعد ، وكذلك الاختلاف في النظرة الى الاشياء والاختلاف في المواقف .

ويجب ان يكون هناك على الاقل مانسميه بالجدع المشترك ، اى ان يكون هناك قسط من المعرفة يعطى بشكل متماثل في كل الكليات العربية النضمن تكوين المواطن العربي المتشابه الذي يحمل في نفسه فكرا متشابهة .